توظيف مستويات التحليل اللُّغويِّ في توجيه دلالة النَّصِّ القرآنيِّ في الروايات التفسيرية لأهل البيت عليهم السلام

أ.د محمد داؤد محمد داؤد أستاذ اللسانيات العامة والتطبيقية

بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

الملخّص:

هدف البحث الكشف عن كيفيَّة توظيف مستويات التحليل اللغويِّ الثلاثة: (النحوي والصرفي والصوتي) في الروايات التفسيرية لأهل البيت عليهم السلام للقرآن، وبيان المنهجية التي اعتمدوها في تناول دروس كلِّ مستوى، وتحليل العبارات التي صاغوها، فعرضُ تلكَ المسائل، واعتمد البحث المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والملاحظة، وتكوَّن من محورين ومقدِّمة وخاتمة؛ المحور الأول فيه تعريفات للمستويات اللغوية والبنيوية التي ترجع لها تلك المستويات، وبيان القضايا البحثية لكلِّ مستوى، ثمَّ نبذة مختصرة عن أهل البيت عليهم السلام ورواياتهم التفسيرية، والمحور الثاني هو الجانب التطبيقي، وفيه توظيف المستوى النحوي والمستوى الصرفي والمستوى الصوتي، في الجزء الثالث من تفسير المصابيح الساطعة الأنوار، ووصل البحث إلى نتائج من بينها: توظيف أهل البيت عليهم السلام في تفاسيرهم مستويات التحليل اللغوي كلَّها توظيفًا منهجيًّا علميًّا، وأنَّ معظم دروس النحو والأساليب كانت حاضرة في تفاسيرهم مثل: بناء الجملة والحذف والرتبة ودلالات معاني الأدوات؛ لا سيَّما حروف العطف والجر والنفي؛ وقد اعتمد أهل

البيت عليهم السلام وزن الكلمات وصيغتها في التفريق بين المترادفات والمعاني المتشابهة وفي توجيه القراءات؛ ونلحظ أيضًا تقديم أهل البيت عليهم السلام أحيانًا التحليل اللغوي على التحليل الدلالي للآيات.

الكلمات المفتاحية:

التحليل اللغوي، دلالة النصّ القرآني، الروايات التفسيريّة، أهل البيت عليهم السلام

The Utilization of Linguistic Analysis Levels in Directing the Meaning of the Quranic Text

In the Interpretative Narrations of Ahl al-Bayt (peace be upon them)

Prof. Dr. Mohammed Dawood Mohammed Dawood

Professor of General and Applied Linguistics

Sudan University of Science and Technology

Abstract:

This research aims to explore how the three levels of linguistic analysis—syntactic, morphological, and phonetic—are employed in the interpretative narrations of Ahl al-Bayt (peace be upon them) regarding the Holy Quran. It examines the methodology they adopted in addressing the lessons of each level and analyzes the expressions they formulated. The study presents these issues using a descriptive method based on induction and observation.

The research consists of an introduction, two main sections, and a conclusion. The first section provides definitions of the linguistic levels and the structural frameworks they belong to, along with a discussion of the research issues related to each level. It also includes a brief overview of Ahl al-Bayt (peace be upon them) and their interpretative narrations. The second section is the applied aspect, which investigates the employment of syntactic, morphological, and phonetic levels in the third volume of the Tafsir al-Masabih al-Sati‘at al-Anwar.

The research concludes with several findings, including the systematic and scientific employment of all levels of linguistic analysis in the exegeses of Ahl al-Bayt (peace be upon them). Most syntactic lessons and stylistic features were present in their interpretations, such as sentence structure, omission, word order, and the meanings of linguistic tools—especially conjunctions, prepositions, and negation particles. Additionally, Ahl al-Bayt (peace be upon them) relied on word weight and form to distinguish between synonyms and similar meanings and to direct different Quranic recitations. It is also observed that they sometimes prioritized linguistic analysis over semantic analysis when interpreting verses.

Keywords:

Linguistic Analysis, Meaning of the Quranic Text, Interpretative Narrations, Ahl al-Bayt (peace be upon them).

المقدمة:

القرآن الكريم خطاب مُحكم البناء، ونصٌّ معجز البيان، يحتاج إلى تفسير وتأويل عبر الزمان؛ لذا تعدَّدت آليات تفسيره وكثرت أدوات تأويله، ومن ذلك التحليل البنيوي الذي يؤسِّس على مستويات اللغة الأربعة: المستوى الصوتي ودلالته الصوتية والصرفي والنحوي والمعجمي بدلالاتهم؛ وقد حاول البحث استنطاق هذه المستويات في تفاسير أهل البيت عليهم السلام؛ لما يتمتعون به من فهم لتفاصيل السياق، وقدرة تفوق غيرهم على استنباط الأحكام والإشارة إلى دقائق الأسرار، ومن تفاسيرهم: تفسير المصابيح الساطعة الأنوار، الذي جُمع من مجموعة من تفاسير الأئمة النجباء، وذلك بهدف الكشف عن توظيف الدلالة الصوتية في

تفسير القرآن عند أهل البيت، وبيان كيفية الإفادة من الدلالتين الصرفية والنحوية في توجيه نص القرآن وترجيح دلالاته، واعتمد البحث المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والملاحظة والتحليل، وتكوَّن من محورين قبلهما مقدمة وتقفوهما خاتمة؛ المحور الأول يمثل الإطار النظري وفيه: تعريفات مختصرة عن مصطلحات البحث وهي: المستويات اللغوية ودلالاتها، وتفاسير أهل البيت عليهم السلام، والمحور الثاني تناول الجانب التطبيقي وفيه توظيف الدلالة الصوتية المتمثِّلة بالحركات وموقعها من تحديد دلالة النص القرآني، ثمَّ توظيف الدلالتين الصرفية والنحوية الخاصَّتين بالصِّيَغ ودلالاتها، والتقديم والتأخير والحذف، ومرجعيَّة الضمير ودلالة حروف المعاني، وتوضيح أثر ذلك في توجيه النصِّ القرآني، وترجيح دلالته المتشابهة، ثمَّ الخاتمة وفيها أهم النتائج.

المحور الأول: الإطار النظري:

في هذا المحور أورد الباحث إشارات مقتضبة عن أهم مصطلحات متغيرات العنوان، التي ساعدت في توضيح حدود الدراسة، وبيان المقصود منها وهي: البنيوية، ومستويات التحليل اللغوي، وأهل البيت عليهم السلام وتفاسيرهم.

١ - تعريف البنيوية ومستويات التحليل اللغوي:

تُعدُّ اللغة الطبيعية من أعظم الإنجازات البشريَّة التي لها أثر في بناء الحضارة الإنسانية، وقد اجتهد العلماء والباحثون في السيطرة عليها؛ بوصفها الوسيلة الأهم في نقل الأفكار، وترجمة المشاعر والتواصل الإنساني، ومرَّت دراستها بمراحل مختلفة حتَّى جاء دي سوسير الذي غيّر اتجاه البحث اللغوي، من التاريخي إلى التزامني، ومن المقارن إلى الوصفي، ومن هنا ظهرت البنيوية التي تنظر إلى اللغة، بوصفها مجموعة من الأنساق والعناصر المكوِّنة لبناء عام، هو النصُّ أو الخطاب؛

ولأجل تيسير تفكيك تلك العناصر قسَّمت اللغة على أربعة مستويات شكليَّة؛ هي: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى المعجمي، والمبتغى من ذلك السيطرة على المعنى المنطوقة والمكتوبة، وقد سبق المفسرون البنيويين في استعمال أنساق اللغة في تحديد المعنى، وهنا عكسنا ملامح المستويات في مرويَّات أهل البيت عليهم السلام التفسيرية، وكيفية توظيفها في استجلاء دلالة الخطاب القرآني.

وبناءً على ذلك يمكن تعريف مستويات التحليل اللغوي: بأنَّها الأُسس العلمية والمنهجية التي تتَّبع في الكشف عن العناصر البنائية المُكوِّنة للنصِّ اللغوي المتمثِّلة بالصوت والصرف والنحو والمعجم، وبيان وظيفة كلِّ عنصر من تلك العناصر، والمستوى الصوتي: هو المستوى الخاص بالبحث في الأصوات البنائية والوظيفية (فوق تركيبية) من ناحية المخارج والصفات والأثر الدلالي الذي تنتجه الدلالة الصوتية؛ لأنَّ «الأصوات اللغوية في داخل الكلمات رموز لغوية صوتية ذات دلالات معينة»[1]، ثمَّ المستوى الصرفي: وهو الذي يهتم بدراسة بنية الكلمة خارج التركيب، ومن مباحثه؛ أقسام الكلام والصيغ الصرفية، ودلالة الأوزان، والمقولات الصرفية، من نوع وشخص، وتعيين وعدد، وأثر السوابق واللواحق، وبعده المستوى النحوي أو التركيبي: وهو الخاص ببناء الجملة ووظيفة كلِّ عنصر فيها في موقعه ومن قضاياه البحثية؛ أركان الجملة، وترتيبها وأنواعها، والحذف والتوسع في أجزائها، والمستوى الأخير هو المستوى المعجمي: ويختص بدارسة المعنى في السياقات الدلالية.

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية: ١١.

٢- أهل البيت عليهم السلام ومروياتهم التفسيريَّة:

أهل البيت أو آل البيت عليهم السلام المقصود بهذا المصطلح عمومًا عند المسلمين هم آل النبي محمَّد صلى الله عليه وآله الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتينَ الزَّكاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا﴾[١]، والمتَّفق عليه من أهل البيت هم: الإمام علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء، والحسن، والحسين عليهم السلام[٢]، وهناك من يرى إضافة زوجات النبيِّ صلى الله عليه وآله، والبحث يقصر أهل البيت في العترة المتَّفق عليها المطَّهرة من الرجس والشرك والزيغ والضلال.

أمَّا المرويَّات التفسيريَّة فيقصد بها في هذا البحث: تأويل القرآن أو بعضه، وتوضيح آياته المنسوب إلى أحد الأئمَّة النجباء والسادة الفضلاء من أهل البيت عليهم السلام أو المروي عنهم، الذين تحمَّلوا أعباء نشر الرسالة، ومرويَّاتهم كثيرة، واعتمد البحث المصابيح الساطعة الأنوار تفسير أهل البيت عليهم السلام، للإمام القاسم بن إبراهيم (٢٤٦هـ) والإمام محمد (٢٨٤هـ) والإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسن (٢٩٨هـ) جمع هذه التفاسير العلَّامة عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الشرفي (١٠٦٢) وحققها محمد قاسم الهاشمي وعبد السلام عباس الوجيه، وأشرف عليها السيد العلَّامة صلاح بن محمد الهاشمي، وصدرت عن مكتبة التراث الإسلامي الجمهورية اليمنية مدينة صعدة الطبعة الثالثة ٢٠١٢م.

---

(١) الأحزاب:٣٣.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٩/ ١٠١ وما بعدها.

المحور الثاني: الجانب التطبيقي:

ناقش البحث كيفية توظيف مستويات التحليل اللغوي في هذا المحور، والجدير قوله ما تناوله البحث هو نماذج معظمها من جزء واحد من كتاب واحد سوى إشارات طفيفة خارج هذا النطاق، وليس من هدف البحث إحصاء الموضوعات والمسائل اللغوية الفرعية الورادة في التفاسير، إنَّما هدف لإيضاح الفكرة العامَّة في التحليل اللغوي بحسب المستويات التي بنى عليها أهل البيت عليهم السلام منهجيَّتهم في التفسير والتأويل، بمعنى ما قدَّمه البحث هو ما سمحت به مساحة البحث لا ما شملته روايات التفسير.

توظيف المستوى النحوي عند أهل البيت عليهم السلام في التفسير:

على الرغم من أنَّ المستوى النحوي هو المستوى الثالث من مستويات التحليل اللغوي إلَّا أنَّه الأكثر ورودًا في تفاسير أهل البيت عليهم السلام بحسب المصادر التي اطَّلع عليها الباحث، وقد استخدم أهل البيت عليهم السلام البناء التركيبي في عدد القضايا الفرعية والمسائل لتوضيح العديد من الجوانب منها:

توظيف بناء الجملة:

الجملة: هي الوحدة التركيبيَّة المكوَّنة من حكم مسند ومحكوم عليه مسند إليه، ولها جانبان؛ جانب شكلي بنائي، وجانب دلالي معنوي، وفيها العديد من القضايا منها:

الحذف: والحذف التركيبي: هو الاستغناء عن عنصر مع قرينة دالَّة عليه، ولمَّا كانت هنالك العديد من الآراء العقدية المتحفَّظ عليها التي تستمد حجِّيتها من ظاهر النص القرآني، وتحاول تأويل الآيات لتتماشى مع معتقداتها، وتحوُّطاً للردِّ على أولئك وظّف أهل البيت عليهم السلام تحديد العنصر المحذوف وتقديره ومن أمثلة ذلك«في

تفسير قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[١] أي: بعد آيات الله: كقولهم: أعجبني زيد وكرمه، أي: كرم زيد، والمعنى أحسن الحديث حديث الله وآياته، فإن لم يؤمنوا به فلا حديث إلَّا ما هو دونه»[٢] وهنا جاء توظيف المحذوف لإزالة اللبس، وهو تمثيل المولى عزَّ وجلَّ تمثيلًا ماديًّا شاغلًا حيِّزًا مكانيًّا أو زمانيًّا، وسوّغ لتقدير المحذوف بالمثال، وقد يستعمل أهل البيت عليهم السلام الحذف في تقدير بناء الآية التركيبي مثال ذلك: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾[٣] جاء في تفسيرها: «(قل للذين آمنوا) المقول محذوف دل عليه الجواب؛ أي قل لهم (يغفروا للذين لا يرجون أيام الله)»[٤] وأهم ما في التعليق هو تقدير المحذوف الذي يُعدُّ شرطاً أساسيّاً في الحذف.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آَيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾[٥] «(وأما الذين كفروا) جواب (أمَّا) محذوف؛ أي وأمّا الّذين كفروا فيقال لهم: (أَفَلَمْ تَكُنْ آَيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ) فحذف: فيُقال لهم»[٦].

«الأداة (أمَّا) في العرف اللغوي تحتاج إلى الفاء رابطة لجوابها، وفي الدخان الآية ١٠: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (فارتقب)؛ أي: انتظر يا محمَّد، يقال ذلك في المكروه، والمعنى: انتظر يا محمَّد عذابه»[٧]، وهنا قُدِّر المحذوف دون

(١) سورة الجاثية: ٦.
(٢) المصابيح الساطعة: ٣/ ١٠.
(٣) سورة الجاثية: ١٤.
(٤) المصابيح الساطعة: ٣/ ١٣.
(٥) سورة الجاثية: ٣١.
(٦) المصابيح الساطعة: ٣/ ٣١.
(٧) المصدر نفسه: ٣/ ٤٥.

الإشارة إليه لرفع اللبس عن ضمير المخاطب في (ارتقب)، وهناك مواضع أُخر كثيرة وُظّف فيها الحذف لأغراض أُخر.

الرتبة: أو ما يُسمَّى بالترتيب أو التقديم والتأخير، كما هو شائع عند البلاغيِّين، وهو تحديد موقع الكلمة في الجملة ليُعرف موقعها الإعرابي، ومن ثمَّ ضبطها، ثمَّ وظيفتها ومعناها السياقي المنشود، وقد وظَّف أهل البيت عليهم السلام ذلك، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾[١]؛ إذ «قدَّم الفعل قبل (إلَّا) وأخَّر المصدر لعدم اللبس»[٢]، وأصل التركيب نحويًّا إلاَّ نظنُّ ذلك ظنًّا، وأوضح المفسِّر سبب إعادة الترتيب هو الوضوح وعدم اللبس.

ومن نماذج الترتيب قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[٣]، قال المفسِّر: «(له الملك) وهذا يفيد الحصر مستفاد من تقديم الخبر»[٤] الأصل: الملك لربِّكم.

أنماط الجملة: وظّف أهل البيت عليهم السلام في تفاسيرهم أنماط الجملة وأقسامها مثل: الجملة الفعليَّة، والجمل التي لها محل من الإعراب، والجملة الاستفهامية، والاختصاص، والبدل... في تأويل بعض الآيات، وترجيح آراء على أخر، ومن أبرز الشواهد لذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي

(١) سورة الجاثية: ٣٢.
(٢) المصابيح الساطعة: ٣/ ٣٣.
(٣) سورة الزمر: ٦.
(٤) المصابيح الساطعة: ٣/ ٣٥٦

الْقُرْبَى وَمَنْ﴾[١] فهناك اختلاف «في الاستثناء، فقال قوم: هو منقطع، وقال آخرون: متَّصل فيكون قد سأل أجرًا، وهو مودة قرابته... ثم اختلف هؤلاء، فقالوا عن ابن عباس في رواية ومقاتل: أنَّها منسوخة بقوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[٢] قال الثعلبي والواحدي: ومن قال بالنسخ فقد غلط؛ لأنَّه لا يصحُّ أن يُقال: نسخ مودَّة النبيِّ وكفَّ الأذى عنه، ولا مودَّة آله وقرابته، ولا التقرُّب إلى الله بالطاعة، ومن ادّعى النسخ توهّم أنَّ الاستثناء متَّصل، وليس الأمر على ذلك، فإنَّ الاستثناء منقطع، وتمَّ الكلام عند قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ثمَّ قال: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؛ أي: لكن أذكركم قرابتي منكم، وكأنَّه في اللفظ أجر، وليس بأجر. قلت: والصحيح ما ذكره أئمَّتنا عليهم السلام وشيعتهم، من ذلك قول إمامنا المنصور بالله عبد الله بن حمزة، فإنَّه قال: (إلَّا) في قوله تعالى: (إلَّا المودة في القربى) إنَّما هي بمعنى غير، ومعناها: التفخيم لأمرهم، والتعظيم لهم عليهم السلام كما قال الشاعر[٣]:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفَهم
بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

أراد بـ(غير) المبالغة في المدح، وإليه ذهب عمرو بحر الجاحظ في كتابه (كتاب أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام) الذي صنَّفه للمأمون»[٤] عرض المفسِّر أهم الآراء المتعلِّقة بـ(إلَّا) وعزاها إلى مصادرها، ثمَّ اختار الرأي الراجح بناء على شاهد لغوي؛ هو قول الشاعر النابغة الذبياني، يلاحظ أنَّ المفسِّر أسهب وأطنب في تفسير هذه الآية، وحشَّد لها عددًا من المناقشات، ومردُّ ذلك من وجهة الباحث،

(١) سورة الشورى: ٢٣.
(٢) سورة سبأ: ٤٧.
(٣) البيت للنابغة الذبياني، ينظر: خزانة الأدب: ٣/ ٣٧٢.
(٤) المصابيح الساطعة: ٣/ ١٧٠.

يعود إلى طبيعة حساسيَّة القضيَّة المتعلِّقة بآل محمَّدﷺ، وهي مثار جدل عنيف بين الطوائف والفرق الإسلاميَّة؛ فالاستثناء له أربعة أركان؛ هي المستثنى والمستثنى منه والأداة والحكم، فعندما يكون المستثنى والمستثنى منه من جنس ونوع واحد يسمَّى الاستثناء متَّصل، وعندما يختلفان يسمى المنقطع، وتقدير المتصل هو «أي لا أسألكم أجرًا إلَّا هذا، وهو أتودّوا أهل قرابتي، وتقدير المنقطع؛ أي: لا أسألكم أجرًا قطّ، ولكنني أسألك ما تودّوا قرابتي الذين هم قرابتكم، وبعد كلِّ هذا السجال العلمي الموثَّق ذهب المفسِّر إلى خيار ثالث وهو أن (إلَّا) بمعنى غير وقدم شاهدًا لذلك.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[1] وظّف المفسِّر درس الحال بجانب درس المجاز البلاغي؛ إذ قال تعالى: (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) انتصب(طوعًا) و(كرهًا) على الحال، بمعنى طائعتين أو مكرهتين... وهذا من المجاز المسمَّى بالتمثيل، أو يكون تخيليًّا، ويبنى الأمر فيه على أنَّ الله تعالى كلَّمهما، وقال: شئتما أو كرهتما أتيتما فقالتا: أتينا على الطوع لا الإكراه، والغرض تصوير أثر قدرته في المقدَّرات من غير تحقيق شيء من الخطاب والجواب، بل كما قال الشاعر: وقالت له العينان سمعًا وطاعة»[2]، ويلاحظ هنا الإطالة في التفسير والاستطراد في البيان لطبيعة الآية المفسَّرة المتعلِّقة بالجانب العقدي المتعلِّق بأسماء الله وصفاته وهي كيفية كلامه مع مخلوقاته المختلفة، مع العلم أنَّ هذا الاستطراد جاء في تفسير سورة فصِّلت (السجدة) والآية موضع النقاش من سورة الدخان، وقبل هذا البيان أورد

(١) سورة فصلت: ١١.

(٢) المصابيح الساطعة: ٣/ ٢٢٧و ٢٢٨. وعجز البيت: وأسبلتا كالدر ما لم يثقب، لم يقف الباحث على قائله.

كلامًا لطيفًا لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام يمكن الرجوع إليه.

توظيف الحركات الإعرابية: قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَ مَماتُهُمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾[١] «قال الإمام الحسين بن القاسم: من قرأ(سواءً) بالنصب فالتأويل أنَّ الله لا يجعل محياهم و مماتهم مثل محيا أولياء الله ومماتهم، ومن قرأ (سواءٌ) بالرفع فالتأويل أنَّ محيا أعداء الله مثل موتهم في قلة الانتفاع، أو حياتهم لا تنفعهم، وموتهم لا ينفعهم فحياتهم موت لا يكسبون فيها طاعة، ولا يخرجون من معصية...وفي التجريد: وقرئ (سواءً محياهُم ومماتُهُم) بنصب (سواء) ورفع (محياهم و مماتهم) على أنَّ سواء مفعول لحسب، ورفع محياهم ومماتهم به، وقرئ بنصب (سواء) مع نصب (محياهم ومماتهم)، على أنَّ محياهم ومماتهم ظرفان، أو يكونان بدلًا من ضمير(نجعلهم) بدل اشتمال»[٢]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣] قال «وفي المقاليد: قُرئ(حجَّتَهم) بالنصب على تقدم خبر كان، والرفع شاذٌّ والمعنى: ليس حجَّة إلَّا قولهم هذا، وليس بحجَّة، والمراد نفي أن يكون لهم حجَّة البتَّة»[٤]، بعد ترجيح القراءة بالنصب حكم على شذوذ القراءة بالرفع بالشذوذ استنادًا على المعنى.

وعن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[٥] قال المفسِّر: «قُرئ

(١) سورة الجاثية: ٢١.
(٢) المصابيح الساطعة:٣/ ١٩.
(٣) سورة الجاثية: ٢٥.
(٤) المصابيح الساطعة:٣/ ٢٦.
(٥) سورة الجاثية: ٣٢.

(الساعة) في (ما الساعة) رفعًا ونصبًا، قال الزجاج: مَن نصب فعلى الوعد، ومَن رفع فعلى معنى، وقيل: الساعة لا ريب فيها، قال الأخفش: الرفع(أجود) في المعنى وأكثر في كلام العرب إذا جاء بعد ظرف؛ لأنَّه كلام مستقل بنفسه بعد مجيء الكلام الأوَّل بتمامه»[١]، ويلاحظ أنَّ في المناقشة ترجيح قول الأخفش ضمنيًّا بلا تصريح.

وفي قوله تعالى:﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ* فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾[٢] قال: «من فتح (أنَّ) فتقديره بأن هؤلاء، قيل: دعا ربه بذلك، كان دعاؤه: اللهم عجِّل لهم ما يستحقونه بإجرامهم، وقيل: دعاؤه قوله: (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) لكنَّ الله ذكر سبب الهلاك فقط، ومن كسر(إنَّ) فتقدير القول: أي: فدعا ربه فقال: (إنَّ هؤلاء)، (فأسر بعبادي ليلًا)؛ أي: فاستجبنا له، وقلنا له: اسر»[٣] فتح همزة إنَّ وكسرها يؤثِّر في دلالة الجملة بعدها، وبناء على ذلك ناقش المفسِّر الخلاف في كسر الهمزة في الآية وفتحها وما يترتَّب على ذلك من معنى.

توظيف مرجعيَّة الضمير: الضمائر على الرغم من كونها أعرف المعارف عند النحويِّين، إلَّا أنَّها في حاجة لمرجع يوضِّح المقصود بكلِّ ضمير منها على وجه التحديد يسمَّى (المفسِّر أو المرجع)، وهناك نوع من الضمائر في القرآن الكريم يعرف بالضمير المُشْكِل، وسُمِّي بذلك لعدم اتفاق المفسِّرين على مرجعه، وقد تناول أهل البيت عليهم السلام هذه الضمائر بأنواعها، ومن نماذجها:

قال تعالى: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ..﴾[٤] «في الضمير

(١) المصابيح الساطعة:٣/ ٣٣.
(٢) سورة الدخان: ٢٢- ٢٣.
(٣) المصابيح الساطعة:٣/ ٥٤.
(٤) سورة ص: ٣١- ٣٣.

الهاء في(رُدُّوهَا عَلَيَّ) قولان: أحدهما- وعليه الأكثر- أنَّه للخيل، أمر بردِّها وعقرها، وهو قوله (فطفق مسحًا بالسوق والأعناق) وهذا قول السدي ومقاتل، والفراء، والزجاج وغيرهم... القول الثاني: ضمير الهاء للشمس، سأل الله أن يردَّها عليه فردَّها حتَّى صلَّى العصر، ذُكر في التجريد، والأوَّل هو الوجه، ولا بعد في أن يكون ذلك شريعة لسليمان عليه السلام»[١] ذكر المفسِّر رأيين في مرجعية الضمير وإحالته ورجّح الرأي الأولى، وقدَّم مسوغاته المتمثِّلة في ما عليه الأكثر وما ذكر في التجريد وهو منطق علمي ومنهجي قويم، وعلى الرغم من أنَّ القاعدة النحويَّة ترجع الضمير إلى الشمس؛ لأنَّها آخر اسم مذكور قبل الضمير في (حتَّى توارت).

توظيف دلالات حروف المعاني: حروف أو أدوات المعاني تكتسب دلالتها من واقع التركيب السياقي للجملة، وفي الغالب تتعدَّد دلالاتها أحيانًا إلى النقيض، وهي من مكونات الجملة المؤثرة في تحديد المعنى، فلا غرو أن يهتم بها سادتنا أهل البيت عليهم السلام في تفسيرهم لكتاب الله عزَّ وجلَّ، وممَّا ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢] «عطف على (بالحقِّ)؛ لأنَّ فيه معنى التعليل، أي: وليجعلهما مساكن لعباده بتعبُّدهم فيها، فيجزي كلَّ نفس بما عملت في السموات، أو في الأرض من طاعة، أو معصية (وهم لا يظلمون) بنقص شيء من أجورهم»[٣] والمعنى واضح؛ لأنَّ العطف هو إشراك الثاني في حكم الأول.

(١) المصابيح الساطعة:٣/ ٤٥٢ و٤٥٣.
(٢) سورة الجاثية: ٢٢.
(٣) المصابيح الساطعة: ٣/ ١٢.

وفي تفسير الآيات من سورة الدخان: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾[١] «إن جعلت (حم) تعديدًا للحروف كان واو (الكتاب) واو القسم، وإن جعلت (حم) اسمًا للسورة مقسمًا بها كانت الواو عاطفة، (والكتاب المبين) هو القرآن المبين»[٢] توظيف دلالة الواو هنا أثبت ضرورة جر لفظ الكتاب في كل الأحوال المحتملة.

وقال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾[٣] «أي: في الأمم الماضين وكم للتكثير»[٤] وهي خبريَّة مفعول به مقدَّم (لأرسلنا) تفيد التكثير، يلاحظ أنَّ المفسِّر أوجز هنا ولعلَّ السبب لوضوح معنى كم وغياب اختلاف المفسِّرين حولها.

وفي قوله تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٥] أشار المفسِّر إلى أنَّ «الفاء في (انتقمنا منهم) للتعقيب، والانتقام من الأمم المكذِّبة، كان قبل محمَّدﷺ، وجوابه أن يجعل فانتقمنا متَّصلًا بقول الأمم مقدَّمًا في التقدير على (قل أولو جئتكم) فيصير النظم (وإنا على آثارهم مقتدرون...فانتقمنا منهم) والله أعلم... ومعنى انتقمنا؛ أي: انتصرنا للدين والرسل بإهلاكهم»[٦]، قدَّم الإمام المفسِّر هنا التحليل اللساني النحوي وأخَّر المعنى الدلالي المعجمي؛ لأنَّ المعنى النحوي -في تقدير الباحث- هو المحدِّد الأهم للمعنى وهذه منهجيَّة تختلف عن

(١) سورة الدخان: ١- ٣.
(٢) المصابيح الساطعة: ٣/ ٣٥.
(٣) سورة الزخرف: ٦.
(٤) المصابيح الساطعة: ٣/ ٨٥.
(٥) سورة الزخرف: ٢٥.
(٦) المصابيح الساطعة: ٣/ ١٠١

منهجيَّة بعض المفسِّرين الذين يحرصون على التأويل والمعنى المعجمي أوَّلًا في كلِّ التفسير، وممَّا ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾[١] «فقد ذكر أنَّ الباء في (بالحقِّ) تحتمل السببيَّة؛ أي: أنزلناه بسبب إظهار الحقِّ، وتحتمل غير السببيَّة؛ أي: أنزلناه إنزالًا ملتبسًا بالحقِّ والصدق والصواب»[٢] وحينها تكون للملابسة وهذا الكلام في منتهى الموضوعية، فالرأيان لا يؤثران في التفسير.

وفي قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[٣]؛ قال تعالى: (ثم جعل منها زوجها)... فيقال: لِمَ عطفه بـ (ثمَّ) المفيدة للتراخي؟ وخلق حواء متقدِّم على خلق أولاد آدم بالتناسل بينهما؟

وجوابه: أنَّهما آيتان كاملتان، خلق هذا الخلق وتفريعهم من نفس واحدة، وهي آدم، وخلق حواء، إلَّا أنَّ أحدهما جعلها الله سبحانه عادة مستمرة، والأخرى لم يجر بها العادة، لم تخلق أنثى من ضلع رجل غير حواء، فكانت أدخل في الاستغراب، فعطفها بـ(ثمَّ) للدَّلالة على زيادة مزيَّتها... وقيل التراخي يرجع إلى لفظ (واحدة)؛ أي خلقكم من نفس توحدت، ثم شفعها الله بزوج»[٤] (ثمَّ) من أدوات العطف المفيدة بعد الاشتراك في الحكم الترتيب الزمني الطويل الذي عبَّر عنه النحويّون بالتراخي، وقد وضّح الإمام المفسِّر سبب العطف بـ(ثمَّ) في هذا الموضع. وعن

(١) سورة الزمر: ٢.
(٢) المصابيح الساطعة: ٣/ ٣٥٠.
(٣) سورة الزمر: ٦.
(٤) المصابيح الساطعة: ٣/ ٣٥٤.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[١] «قال في التجريد: في معناه قولان؛ أحدهما: إنَّا قادرون على العجائب كما خلقناه من غير أب، فنحن قادرون على أن نولِّد منكم يا رجال بني آدم ملائكة يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم، وثانيهما: لجعلنا منكم يا بنى آدم ملائكة، وأهلكناكم، أو بدلًا من كفَّار قريش، و(من) هنا مثلها ففي قوله: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾[٢]»[٣] ودلالة (من) في الآيتين العوض والبدل.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[٤] «وقال في التجريد (إن) شرطيَّة عند الأكثرين، فالمعنى: فأنا أوَّل الجاحدين؛ لأن يكون له ولد؛ أي: إن كان عندكم أنَّ للرحمن (ولدًا) فأنا أوَّل الجاحدين للولد، وهذا مرو عن ابن عباس... وقيل: (إن) نافية؛ أي: ما كان للرحمن ولد، فأنا أوَّل من عَبَد الله على يقين أنَّه لا ولد له، قاله الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد»[٥] ومن النماذج كذلك ما يأتي:

«قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾[٦] أي: محمَّدﷺ، أدخلت الهمزة على كلمة النفي، فأفيد إثبات الكفاية وتقريرها في النفوس»[٧] وفق قاعدة: نفي النفي إثبات.

و«قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم

---

(١) سورة الزخرف: ٦٠.

(٢) سورة التوبة: ٣٨.

(٣) المصابيح الساطعة: ٣/ ١٣٠ -١٣١، وينظر: رصف المباني:٢٢٣.

(٤) سورة الزخرف: ٨١.

(٥) المصابيح الساطعة: ٣/ ١٤٠، ١٤١..

(٦) سورة الزمر: ٣٦.

(٧) المصابيح الساطعة: ٣/ ٣٨١.

بِالْحَقِّ﴾[١]... وقيل اللام للجنس؛ أي: صحائف الأعمال، وقيل: اللوح المحفوظ»[٢].

«قال تعالى: الزمر ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[٣]... الفاء في قوله: (فادخلوها) تدلُّ على كون ذلك الدخول معلَّلاً بالطيب والطهارة»[٤].

توظيف أكثر من درس في المستوى النحوي: ونموذج ذلك قوله تعالى: ﴿يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آَمَنُوا بِآَيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[٥] إذ جاء في التفسير «(الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) صفة لعبادي؛ أي: جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا، وقيل: (الذين آمنوا) مبتدأ، وخبره مضمر، والتقدير: يقال لهم ادخلوا الجنة، ويحتمل أن يكون المعنى: أعني الذين آمنوا»[٦]؛ لتكون الجملة تفسيرية في محلِّ نصب مفعول به، جمع بين درس المبتدأ والنعت.

قال تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٧] «(وقيله)...قسم قرئ بالحركات الثلاث، والجر والنصب على إضمار حروف القسم وحذفه، والرفع كقوله: لعمرك لأفعلنَّ كذا، وجواب القسم قوله: (إن هؤلاء) كأنَّه قيل: أقسم بقيله يا رب، أو قيله: يارب قسمي (إنَّ هؤلاء) إلى آخره، وإقسام الله بقوله ﷺ رفع منه ولدعائه؛ وتعظيم لالتجائه إليه.

---

(١) سورة الزمر: ٦٩.
(٢) المصابيح الساطعة: ٣/ ٤١١.
(٣) سورة الزمر: ٧٣.
(٤) المصابيح الساطعة: ٣/ ٤١٤.
(٥) سورة الزخرف: ٦٨، ٦٩.
(٦) المصابيح الساطعة: ٣/ ١٣٥.
(٧) سورة الزخرف: ٨٨.

وفي التجريد: في نصبه وجوه؛ أحدُها: أنَّه مصدر؛ أي: وقال قيله، وشكا شكوه إلى ربه، والثاني: أنَّه عطف على (سرِّهم ونجواهم)؛ أي: أم يحسبون أنَّا لا نسمع قيله، ذكر القولين الفراء والأخفش، والثالث: أنَّه منصوب على محلِّ الساعة؛ لأنَّ محلَّها نصب بـ (يعلم)، وهو اختيار الزجاج.

وفي الجرِّ وجهان: العطف على لفظ (الساعة)؛ أي: وعلم قيله، والثاني: أنَّه قسم أقسم الله تعالى بقوله محمَّدﷺ كما أقسم بعمره.

وفي الرفع وجهان، أحدُهما: أنَّه مبتدأ خبره محذوف على أنَّه قسم تقديره: وقيله قسمي، والثاني: أنَّه مبتدأ غير مُقسَمٍ به، خبره يا رب؛ أي: وقيله هو هذا اللفظ (يا رب)»[١]، وظَّف المصدر والقسم والمبتدأ والإعراب والعطف وحروف الجر.

وفي قوله تعالى: «﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾[٢]، قال تعالى: (وإن مسه الشر فيئوس قنوط) مبالغة من وجهين؛ أحدُهما: من طريق بناء فعول، والثاني: من طريق التكرير.

واليأس: صفةٌ للقلب، القنط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر، وهذه صفة الكافر»[٣] زاوج بين الصرف والأسلوب التكرار والدلالة المعجمية. أمَّا في سورة الزمر: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾[٤] فقد جمع المفسِّرون بين أكثر من درس تفصيل ذلك في قوله:» (أفمن حقَّ عليه كلمة العذاب) هي (لأملأنَّ جهنَّم) الآية، أصل الكلام: أمَّن حقَّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه،

---

(١) المصابيح الساطعة: ٣/ ١٤٤

(٢) سورة فصلت: ٤٩.

(٣) المصابيح الساطعة: ٣/ ٢٥٥.

(٤) سورة الزمر: ١٩.

وهمزة الاستفهام للإنكار، ومَن شرطيَّة، والفاء عاطفة على محذوف دلَّ عليه الخطاب تقديره: أأنت مالك أمرهم، فمن حقَّ عليه العذاب فأنت تخلصه؟ ودلَّ على هذا قوله (أفأنت تنقذ من في النار)؛ أي: تخرجه منها يا محمَّد، والاستفهام الثاني هو الأول كُرِّر لتأكيد الإنكار، ووضع (في النار) موضع الضمير»[١] جمُع هنا الاستفهام والشرط والعطف والتكرار.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾[٢] قال:» والاستفهام للإنكار عليهم وغيرهم، وقوله: (أفغير الله) منصوب بـ(أعبد) و(تأمرونِّي) اعتراض»[٣]جمُع بين الأساليب والإعراب.

المستوى الصرفي:

هناك إشارات متعدِّدة لقضايا المستوى الصرفي في تفاسير أهل البيت عليهم السلام منها:

توظيف صيغة الكلمة ووزنها:

في الآية ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[٤] أورد أبو إسحاق الثعلبي أنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قرأ بفتح الياء في يُتوفون ليكون المعنى؛ «أي يَتوفون أعمارهم وأرزاقهم»[٥] الحركة هنا حركة بناء صرفي غيَّرت وزن الفعل من يُتَوفون إلى يَتَوفون، ومن ثمَّ تغيَّر المعنى، فتمَّ توظيف المستوى الصرفي هنا في توجيه القراءات.

---

(١) المصابيح الساطعة: ٣/ ٣٦٨- ٣٦٩.

(٢) سورة الزمر: ٦٤.

(٣) المصابيح الساطعة: ٣/ ٤٠٥.

(٤) سورة البقرة: ٢٣٤.

(٥) -تفسير أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام: ٢/ ٤٤.

وكذلك في قوله تعالى: «﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١] (وترى كلَّ أمَّة جاثية) قال في البرهان: أي: كلَّ أهل دين، ومعنى (جاثية) مجتمعة، من الجثوة وهي الجماعة، وجمعها جثى، وهو قول ابن عباس»[٢]، مع دقَّة العبارة والحرص على سلامة التوثيق هناك تفنُّن في عرض النصِّ المقتبس. وجاء مثل ذلك في قوله تعالى:﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٣] «قال في التجريد: قرئ(نعشُ) بضم الشين وفتحها، وفتحها شاذ، فإذا فتحت فهو من عشى يعشى، إذا حصلت الآفة في بصره، التي هي العشى، وهو ضعف البصر، فإذا ضُمَّت فمن عشا يعشو إذا نظر نظر من أعشى، ولم يكن به آفة»[٤] فرّق بين دلالتي الفعلين بالصيغ وأصل اللام، حتَّى لا يتوهَّم بعض الناس بالاشتراك اللفظي بين الفعلين، وقد استخدم اللفظ المفرد لتفسير اللفظ الجمع كما في نصِّ الآية (فطفق مسحا بالسوق والأعناق) قال: «السوق جمع ساق»[٥].

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾[٦] قال المفسرِّ «المبطلون: مبطل على وزن مُفعِل»[٧] اكتفى بذلك.

وفي السياق نفسه وردت: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾[٨] «قوله تعالى: (فجعلناهم سلفًا) جمع سالف، كخادم وخدم، وقرأ حمزة والكسائي (سلفًا) بضمتين

(١) سورة الجاثية: ٢٨.
(٢) المصابيح الساطعة: ٣/ ٢٨.
(٣) سورة الزخرف: ٣٦.
(٤) المصابيح الساطعة: ٣/ ١١٢.
(٥) المصابيح الساطعة: ٣/ ٤٥٢.
(٦) سورة الجاثية: ٢٧.
(٧) المصابيح الساطعة: ٣/ ٢٧.
(٨) سورة الزخرف: ٥٦.

جمع سليف، قال الحسين بن القاسم: معنى(سلفًا) أي: سالفين، ومعنى سالفين، أي: ماضين»[١]. دعّم المفسِّر شرحه بالمثال ليتَّضح القياس.

وعن قوله تعالى:﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[٢] قال: «المُقام بالضم موضع الإقامة، والمراد مكانهم الواسع في الجنة؛ أي: في محلِّ إقامة وثبات ودوام، وقرئ بفتح الميم، وهو موضع القيام في الأصل، ثم استعمل عمومًا لكل مكان»[٣]،في هذا النصِّ فرَّق المفسِّر بين صيغتين في الدلالة ووجه القراءة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾[٤] قدَّم المفسِّر قاعدة من قواعد العدول في الخطاب اللغوي وذلك بقوله: «وبراء مصدر يستوي فيه الواحد والاثنين والجماعة والمذكَّر والمؤنَّث يقال: نحن البراء منكم»[٥]، وفعل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[٦] «(إذا قومك) يا محمَّد (منه) من هذا المثل(يصُدُّون) عن الحقِّ، بضمِّ الصَّاد، من أجل هذا المثل، أي: يُعرضون عنه، وقرئ(يصِدون) بكسر الصاد، أي: يضحكون»[٧].

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[٨] «قوله:(كذلك يوحي إليك) إخبار من الله أنَّه الذي يوحي إليه وإلى جميع الأنبياء الذين كانوا قبله،

(١) المصابيح الساطعة: ٣/ ١٢٨.
(٢) سورة الدخان: ٥١.
(٣) المصابيح الساطعة: ٣/ ٧٠.
(٤) سورة الزخرف: ٢٦.
(٥) المصابيح الساطعة: ٣/ ١٠٣.
(٦) سورة الزخرف: ٥٧.
(٧) المصابيح الساطعة: ٣/ ١٢٩.
(٨) سورة الشورى: ٣.

قال في الكشَّاف[١]: ولم يقل: أوحى إليك، ولكن (قال: يوحي إليك) على لفظ المضارع ليدلَّ على أنَّ إيحاء مثله عادته»[٢] وهناك اقتبس المفسِّر نصَّ الكشَّاف للزمخشري الذي وضَّح فيه البون بين صيغتين زمنيَّتين للفعل هما يوحي المضارع الدالِّ على الاستمرار، وأوحى الماضي الدالِّ على الانتهاء.

توظيف العدد (المثنى والجمع): من الأمثلة لتوظيف درس المثنى ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[٣] «وقال: (بينهما) بالتثنية؛ لأنَّه أراد ما بين الجنسين»[٤] باعتبار أنَّ السماء جنس والأرض جنس، وفي قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٥] «وقُرئ (بمفازاتهم)؛ أي: ببعدهم من العذاب، وقيل: بفضائلهم، وقيل: بأعمالهم، وقيل: بفوزهم من النار»[٦] ذكر المفسِّر قراءة الجمع دون تعليق.

المستوى الصوتي:

استعمل أهل البيت عليهم السلام المستوى الصوتي قرينة من قرائن تحديد المعنى، بل في أحايين كثيرة استخدموه لتحديد شكل النصِّ القرآني، ثمَّ تفسيره، ومن الإشارات الواردة في ذلك ما رواه أبو إسحاق الثعلبي قال:«قال علي عليه السلام: حيفًا بالحاء والياء، أي: ظلماً»[٧]، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ

(١) ينظر: الكشاف: ٤/ ٢٠٨.
(٢) المصابيح الساطعة: ٣/ ١٤٦- ١٤٨..
(٣) سورة الدخان: ٣٨.
(٤) المصابيح الساطعة: ٣/ ٦٤.
(٥) سورة الزمر: ٦١.
(٦) المصابيح الساطعة: ٣/ ٤٠٢.
(٧) تفسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ٢/ ١٣، وتفسير الثعلبي: ٢/ ٥٩.

جَنَفًا﴾[١] ؛ ولعل توجيه أمير المؤمنين عليه السلام هنا غاية في الأهمية؛ لأنَّ القرآن الكريم في زمانه لم يكن منقوطاً معجماً، ولا مشكولاً مضبوطاً بالحركات فالكلمتان: (جنفًا وحيفًا) إذا حُذفت منها النقاط صارتا على هيئة كلمة واحدة، وعندها يلتبس الحيف والجنف، واللفظ الأول هو الذي شرح به الإمام اللفظ الثاني.

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾[٢] قال:«(ونَعمة) بالفتح من التنعُّم، وبالكسر من الإنعام... قال علماء اللغة: نَعمة العيش بفتح النون حسنه ونضارته، ونِعمة الله إحسانه وعطاؤه»[٣] وهذا الكلام يعزِّزُ المعنى ويقوِّيه.

وفي قوله تعالى: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ* كَغَلْيِ الْحَمِيمِ* خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[٤] «(كالمهل) بضم الميم وفتحها... من قرأ (يغلي) بالياء جعلها للطعام، أو للمهل، ومن أنَّثها ذهب إلى تأنيث الشجرة»[٥]، والشجرة هي شجرة الزقوم الواردة في الآية ٤٣ قبل هذه الآية وتوظيف الحركة جاء لتوجيه القراءة، وعندما يكون المعنى واحدًا يُختصر التفسير كما في قوله: «(فاعتلوه) قُرئ بضم التاء وكسرها، وهما لغتان بمعنى واحد»[٦].

(١) سورة البقرة: ١٨٢.
(٢) سورة الدخان: ٢٧.
(٣) المصابيح الساطعة: ٣/ ٥٧.
(٤) سورة الدخان: ٤٥ – ٤٧.
(٥) المصابيح الساطعة: ٣/ ٦٧.
(٦) م، ن: ٣: ٦٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آل بيته الأطهار عليهم السلام وفي ختام هذا البحث قدَّم الباحث أهم النتائج:

١. وظَّف أهل البيت عليهم السلام في تفاسيرهم مستويات التحليل اللغوي كلها توظيفًا منهجيًّا علميًّا.

٢. وظَّف أهل البيت عليهم السلام في تفاسيرهم معظم دروس النحو والأساليب مثل: بناء الجملة والحذف والرتبة والأساليب والإعراب بأنواعه المحلِّي والتقديري وإعراب الجمل، ومرجعيَّة الضمير.

٣. وظَّف أهل البيت عليهم السلام في تفاسيرهم دلالات معاني الأدوات خاصة حروف العطف والجر والنفي.

٤. اعتمد أهل البيت عليهم السلام على وزن الكلمات وصيغتها في التفريق بين المترادفات والمعاني المتشابهة وفي توجيه القراءات.

٥. وظَّف أهل البيت عليهم السلام في تفاسيرهم العدد (المثنى والجمع) وما يتعلَّق بهما.

٦. يجمع أهل البيت عليهم السلام أحياناً أكثر من درس، بل أكثر من مستوى تحليلي لتفسير الآية الواحدة أو جزء منها.

٧. اعتمد أهل البيت عليهم السلام على الحركات في المستوى الصوتي في توجيه القراءة.

٨. يُقَدِّم أهل البيت عليهم السلام أحيانا التحليل اللغوي على التحليل الدلالي للآيات.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن محسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

٢. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هرون، مكتبة الخانجي، ط ٤، ١٩٩٧م.

٣. رصف المباني في شرح حروف المعاني، الإمام أحمد بن عبد النور المالقي، دار البشير، جدة، السعودية، ط٣، ٢٠٠٢م.

٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جارالله محمود بن عمر الزمخشريّ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، إشراف: صلاح باعثمان وآخرين، دار التفسير، جدة، ط١، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

٦. اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، عالم الكتب، مصر، د. ط، ٢٠٠٠م.

٧. المصابيح الساطعة الأنوار تفسير أهل البيت عليهم السلام، إبراهيم، الإمام القاسم، والإمام محمد، والإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسن عليهم السلام، جمع: عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الشرفي، تحقيق: محمد قاسم الهاشمي وعبد السلام عباس الوجيه، أشرف السيد العلامة صلاح بن محمد الهاشمي، مكتبة التراث الإسلامي، الجمهورية اليمنية، مدينة صعدة، ط ٣، ٢٠١٢م.